

يتجمعون فيها ، أكثر مما هو ممكن لو انتشروا في عدة مدن .

ان عدم حماسهم للذهاب الى بروبوجان يعود الى الظروف الاجتماعية والتاريخية لليهود . لقد احترفوا المهن ولم يعملوا في الزراعة . فضلوا العمل « بادمتهم وأنابلهم أكثر من عضلاتهم » . ظروفهم المادية الاقتصادية والاجتماعية كسأت تتعارض مع نوعية الاعمال التي كان من المفترض أن يقوموا فيها في بروبوجان . المساطعة اراض زراعية واليهود لم يتعودوا هذه الاعمال . وقد حلل الزعيم السوفياتي الراحل نيكيتا خروتشيف الدواعي التي جعلت اليهود يجمعون عن الهجرة الى بروبوجان . وهو يؤكد الرأي الذي يعتبر ان ذلك يعود الى أسباب مادية اجتماعية وليست « لطبيعة النحجر » الكائنة في اليهود ، تسال خروتشيف :

« ان التوطن في بروبوجان كان ناشلا . انهم يذهبون اليها متحمسين ثم يغادرونها واحد بعد آخر . كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ في رأيي انها الى الظروف التاريخية ، غالبية منذ أقدم الأزمنة فضلوا الحرف ؛ فهم خياطون وقاطعو زجاج ومجوهرات انهم تجار ، وصيادلة ونجارون . ولكن خذ حرفة البناء او الصناعات المعدنية فانك لن تجد فيها يهوديا واحدا » .

من هنا ، اذا كان اليهود لم يتعودوا الزراعة والاعمال الشاقة ، فلماذا نجحت الحركة الصهيونية حيث فشل الاتحاد السوفياتي ؟ بكلمة أخرى ، اذا كانت بروبوجان ارض زراعية وقد قدمت الحكومة السوفياتية كل التسهيلات لتوطن اليهود ولم تنجح التجربة للأسباب الأتفة الذكر ، فلماذا نجحت الحركة الصهيونية في اجتذاب اليهود الى فلسطين ، مع العلم ان فلسطين ارض زراعية وتحتاج للعمل الشاق في الزراعة والصناعة والبناء ؟

ان الاجابة على هذا السؤال معقدة وتدخل في صميم الفكر الصهيوني . ولكن دون الوقوع في التبسيط والسهولة ، يمكن القول ان الاضطهاد النازي قد شكل عنصر « استقطاب » لليهود للهجرة الى اسرائيل . بالاضافة الى ان زعماء الحركة للصهيونية تدعوا اهمية الزراعة والارض كعامل من عوامل « تثبيت » اقدام المجتمع القومي اليهودي في فلسطين . فمن دراسة تجارب اليهود

حول فشل مشروع بروبوجان ، ارى أن أورد نصا للاستاذ ناجي علوش ورد في كتابه « الماركسية والمسألة اليهودية » . يقول : ان فشل تجربة بروبوجان يعود الى سبب رئيسي واحد وهو ان المشروع كان يستهدف انشاء منطقة ذات حكم ذاتي يهودية « اشتراكية » في ظل الدولة السوفياتية ، وان قسما كبيرا من اليهود وعلى رأسهم كهنتهم ووجهاتهم ، يناهض الحكومة السوفياتية العداء ، لانها أرادت ان تجعل منهم أميين اشتراكيين وان تجردهم من « يهوديتهم المتحجرة » المتبثلة في طبيعة تكوينهم الاجتماعي والثقافي . « كان اليهودي يريد ان يظل يهوديا على طريقته وكانت الدولة تريد ان تجعل منه مواطنا عاديا . كانت تريد ان تتبطله ، حتى عندما كانت توافق على خلق منطقة يهودية ذات حكم ذاتي . ولم يكن اليهودي يريد ان يصبح مواطنا سوفياتيا ولا ان يكون له حكم ذاتي سوفياتي . ولهذا رفض المشروع الذي اقترحه وعمل من أجل تحقيقه رفاته اليهود الشيوعيون الذين كانوا على قلتهم أكثر استعدادا من اليهودي العادي للخروج من قوقعة اليهودي التقليدي » . ويرفض الكاتب هذا التعليل لان « اليهودي الذي رفض الذهاب الى بروبوجان كان يعلم انه سيبقى في منطقة أخرى من الاتحاد السوفياتي وسيظل في ظل نظام اشتراكي سوفياتي . بل انه كان في هذه الحالة أكثر عرضة للاندماج او التمثل فيما اذا عاش كأقلية بين شعوب ذات اعداد عظيمة . ولو كان لليهود الخيار بين مغادرة الاتحاد السوفياتي او الذهاب الى بروبوجان لاصح ذلك الرأي . ولكن طالما لم يكن لهم مناص من العيش في ظل نظام سوفياتي اشتراكي ، فقد كان من الأفضل لهم ، اذا هم أرادوا الحفاظ على يهوديتهم ، ان يتكلموا في منطقة واحدة يكونون أكثرية فيها » .

ان ما يذهب اليه الاستاذ صفوة صحيح . فتحجر اليهود وانفلاتهم يرجع الى أسباب اجتماعية اهمها الاضطهاد الذي تعرضوا له ابان الحكم القيصري . اما وقد قام النظام الاشتراكي الجديد في روسيا برفع كل القيود المفروضة على اليهود وحاول حل مشكلتهم اسوة بباقي القوميات والشعوب المضطهدة في روسيا ، فقد فتحت حماستهم للهجرة والتوطن في مكان آخر لان العنصر الدافع للهجرة ، وهو عنصر الاضطهاد قد انتهى بمجيء النظام الجديد . ولو كان الامر ترسيخ تحجرهم لكان ذلك ممكنا في منطقة واحدة